جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديدامون – شرقية

المنهج الوسطي في قضية التفسير العلمي للقرآن الكريم

إعداد

دكتور: رضا محمود نصار

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالديدامون شرقية

المؤتمر العلمي الدولي الأول

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

المنهج الوسطي في قضية التفسير العلمي للقرآن الكريم

رضا محمود نصار
قسم: التفسير وعلومه كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين
بالديدامون – شرقية المدينة: فاقوس جامعة الأزهر
الدولة: جمهورية مصر العربية

القرآن المجيد هو كتاب الوسطية والاعتدال، كتاب الهدي والرشاد قال تعالىٰ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا(١)، ومنذ نزول القرآن العظيم علىٰ النبي الخاتم سيدنا محمد -ﷺ- وهو يحظىٰ بأوفىٰ عناية، وأعظم رعاية من المسلمين، والجميع يتبارىٰ في تقديم ما يحقق أسمىٰ وأعز ما لديه خدمة لكتاب الله.

ومن الثوابت اليقينية أنه لم يحظىٰ كتاب بالعناية، والرعاية، والإجلال، والتوقير، بمثل ما حظىٰ به القرآن العظيم، كما أنه لم يقدم كتاب من الهدىٰ والرشاد والخير للبشرية كلها مثل ما قدم القرآن العظيم ... حقائق ثابتة لا مرية فيها، ومن ثم رجع إليه العلماء في كل علومهم، واستخرجوا منه كل ما ينفع الإنسانية في وسطية تأخذ بالأيدي إلىٰ صراط سوىٰ، ومنهج قويم، قال تعالىٰ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(٢)، ولقد كُتبت دراسات حول القرآن المجيد لا تُحصىٰ كثرة وتنوعًا، وسيظل القرآن العظيم منهلاً عذبًا وموردًا لا ينفد عطاؤه إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن الدراسات الممتعة الثرية التي عُنيت بالقرآن ما أطلق عليه "التفسير العلمي" وهذا اللون من التفسير له جذوره في تراث أئمتنا الأجلال من المفسرين، وقد توسعت الدراسات العلمية حوله في العصر الحديث.

لكن!! ثمت تباين بين العلماء حول قضية التفسير العلمي، وهذا التباين ليس وليد العصر، ولكنه قديم.. والعلماء فريقان حول هذه القضية:

---

(١) الإسراء الآية (٩).

(٢) الأنعام الآية (١٥٣).

الأول: الرفض المطلق للتفسير العلمي؛ حتى لا نُسيء فهم النصّ القرآني

الثاني: القبول المطلق للتفسير العلمي.. هذا القبول المطلق أدى إلى وقوع أخطاء جسيمة في فهم النص القرآني!!

ومع هذين الاتجاهين نشأ اتجاه وسطي يحافظ على قداسة النص القرآني، مع تناوله علميا بالثابت اليقيني، ولذا!! وضع العلماء الضوابط العلمية الوسطية التي تضبط المنهج العلمي، وعلى رأس هذه الضوابط.

أولاً: ألا نعدل عن الحقيقة اللغوية إلى المجاز.

ثانيًا: أن تُفسر الآية الكونية باليقيني الثابت من العلم (الحقائق العلمية)، وليس الفرص أو النظريات التي هي عرضة للتغيير.. إلى غير ذلك من ضوابط هذا المنهج، وبهذا!! يكون المنهج الوسطي في قضية التفسير العلمي هو الذي يحكم مسار هذا المنهج، بلا غلو، أو تفريط، أو تهاون في تناول الآية القرآنية الكريمة.

وضرورة هذا المنهج الوسطي تدلنا على أن التفسير هو العلم الذي يوجه الحياة الوجهة الصالحة الصادقة... والأجيال تتعاقب على بيان هداية القرآن وسطية هادئة هادفة، ففي القرآن المجيد متسع، كأن فيه من الأسرار ما لم يقف على كنهه أئمة أعلام، وسيبقى هكذا يوضحه ويبينه تقدم العلم وارتقاء الفكر.

والمسلمون يواجهون ثقافات مختلفة، لابد من الزاد الذي يؤهلهم للريادة والقيادة، هذا الزاد الذي لا ينفد أبدًا في قول ربنا وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ[1]، ومن ثم!! سيظل منهج الوسطية والاعتدال أمان من كل زيغ.

الكلمات المفتاحية: منهج – وسطية – تفسير – علمي

---

(١) النحل الآية (٨٩).

The middle approach in the issue of scientific interpretation of the Holy Qur'an

Reda Mahmoud Nassar

Department of interpretation and sciences of The Quran

Faculty of Islamic studies and Arabic male al–diadamon – sharqia city: Faqus

AL–Azhar University country: Arab republic of Egypt

Abstract

The Glorious Qur'an is a book of moderation and reasonability. It is the book of guidance. Since the Noble Qur'an was revealed to the Prophet Muhammad, peace and blessings be upon him it has been treated with utmost care and concern by Muslims, therefore, everyone competes to offer everything they have to serve the Book of God .

One of the certain fundamentals is that no book has received the care as the Holy Qur'an has. No book of guidance has given as much promised guidance and good as the Noble Qur'an those are unequivocal, undeniable facts. That is why scholars return to it and extract from it what benefits humanity to form a form of moderation that leads us to the straight path. The Qur'an will remain an inexhaustible resource until we die.

One of the studies that focused on the Qur'an is the scientific interpretation. But scholars differed on the issue of scientific interpretation into two groups:

First one: The absolute rejection of scientific interpretation so as not to misunderstand the Qur'anic text.

The other one: Absolute acceptance of scientific interpretation, which led to some errors in understanding the Qur'anic text.

With these two trends, a middle trend has emerged that preserves the holiness of the Qur'anic text while addressing it scientifically while heeding to the certainties of the Qur'an breeding a set of moderate regulations made by

scholars for the scientific interpretation of the Qur'an. One of these conditions is to refrain from interpreting what is clear and conspicuous as a metaphor. And to explain the cosmic verses with scientific facts, not with hypotheses and theories that are subject to change.

Thus, the moderate method in this issue is the path without any exaggeration or negligence in the approach of the Qur'anic verse.

Key words: approach- moderation- scientific- interpretation

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين أصطفى.....

أما بعد

فإن القرآن المجيد يهدي للتي هي أقوم ويقود إلى صراط الله المستقيم أنزله الحق سبحانه لتدبر آياته قال تعالى ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]، ومنذ أول نجم نزل تعلقت به الأفئدة وانشرحت له الصدور، حتى كان التفاضل بين الأخبار قائمًا على قدر ما يحفظ ويعي ويفقه من القرآن وسيظل هذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها!!

ومن الثوابت أن القرآن المجيد دارت حوله دراسات لا تحصى كثرة وتنوعًا وسيظل مجال القول فيه واسعًا.. كل يدلي بدلوه، وكل له حظ منه ومن الدراسات التي حظيت بعناية خاصة قضية التفسير العلمي للقرآن.

والعلماء أمام هذه القضية فريقان.. منهم من أطلق العنان ورأى الأخذ بكل معطيات العلم، والثاني تحفظ ورفض كل معطيات العلم!!

وأمام هذين الاتجاهين نرى المنهج الوسطي الفذ في القضية ليس مع الرفض المطلق أو القبول المطلق بما له وما عليه.. ولكن وسطية المنهج تضع الضوابط التي تحكم هذا الاتجاه العلمي حتى يكون منهجًا قويما يبين هداية القرآن من الناحية العلمية!!

والله ولي التوفيق

---

(١) سورة ص الآية (٢٩).

التفسير العلمي

مفهومه - أسباب ظهوره

أخذ مصطلح التفسير العلمي يظهر وينتشر بعد حركة الترجمة الواسعة، لتراث السابقين من غير أهل اللسان العربي، ودونت العلوم العقلية واختلفت المذاهب التفسيرية وتنوعت المناهج.. وظهرت الاتجاهات المختلفة.. حتى كان العصر الحديث وظهرت الدعوة لهذا اللون التفسيري، وكان أكبر نصير لها وداع إليها "طنطاوي جوهري" صاحب كتاب الجواهر الذي أغرم بالعجائب الكونية، والبدائع الطبيعية.. حتى نعى على السابقين من العلماء والمفسرين وعاب عليهم تركهم وإعراضهم عن تلك الآيات.. ورمى دراساتهم بالسطحية والتكلف حينا. أو الاعتماد على القشور حتى كثر الحفاظ وقل المفكرون، وجمدت القرائح وماتت العلوم وطمست مع ذلك الحقائق، وفر العلم إلى الغرب وخلى الشرق قاعًا صفصفًا -هكذا يقول- ويدعو علماء اليوم من ..المسلمين أن يجعلوا من يومهم حدًا بين الماضي والمستقبل، ويدرسوا القرآن بأسلوب علمي يفتحوا فيه للمعاني بصائرهم ويضموا إلى تربية أجسادهم عقولهم، ويحذرهم. إن لم يفعلوا ذلك لم تعش الأمة الإسلامية قرنًا واحدًا ، بل تفنيهم الأمم الأجنبية... أيقظوا العقول أيها العلماء، نحن أمة عربية، فلندرس القرآن الذي ورثناه درسًا يناسب الجيل المقبل، ولنأخذ بأيدي أبنائنا إلى مقام الكمال[1].

---

(١) أنظر الجواهر (٢/ ٢٠٣)، واتجاها التجديد في تفسير القرآن.

معنى التفسير العلمي:

التفسير العلمي يتعلق بالعلوم الكونية، وما يتعلق بها من علوم ومعارف كالهندسة والطبيعة والكيمياء والفيزياء وعلم النبات وعلم طبقات الأرض.. وهذا التفسير للعلم مأخوذ من موقف العلماء الذين تناولوا التفسير العلمي -أخذًا وردًا- أما العلوم التي تتصل بالقرآن من ناحية قرآنية، أو تتصل به من ناحية هدايته وإعجازه، والتي تتمثل في العلوم الدينية والعلوم العربية فهي من علوم القرآن، أما العلوم الأولى - الكيمياء والفلك والنبات... وغيرها- فإنها وإن دعا القرآن إلى تعلمها وحذقها والتمهل فيها فلا تعد من علومه ؛ لأن القرآن لم ينزل ليدلل على نظرية من نظريات الهندسة -مثلاً- ولا ليقرر قانونًا من قوانينها، وكذلك علم الهندسة- أو غيرها من هذه العلوم- لم يوضع ليخدم القرآن في شرح آياته أو بيان أسراره، وهناك فرق كبير بين الشيء يحث القرآن على تعلمه في عموماته أو خصوصاته وبين العلم يدل القرآن على مسائله أو يرشد إلى أحكامه أو مفرداته، فالأول لا يعتبر من علوم القرآن بخلاف الثاني[1].

بيد أن أنصار التفسير العلمي يرون أنه يشمل ذلك كله ما عدا الناحية البلاغية.. فهو يشمل الناحية النفسية وكيف أن القرآن نزل ليقود النفس طبق قوانين الفطرة، ويشمل الناحية التشريعية وكيف نزلت أحكام القرآن طبق قوانين الفطرة للأفراد والمجتمعات، كما يشمل الناحية التاريخية التي لم يكن يعلمها البشر عند نزول ما اتصل بها من آيات القرآن ثم كشف التنقيب الأثري فيما بعد[2].

ومن خلال هذا يمكن أن نحدد مفهوم التفسير العلمي.

---

(١) انظر مناهل العرفان(١/ ١٧).

(٢) د/ الغمري- الإسلام في عصر العلم (٢٢١).

١-التفسير الذي يُحَكِّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها.

٢-هو التفسير الذي يتوخى إخضاع عبارات القرآن للنظريات والاصطلاحات العلمية، وبذل أقصى الجهد في استخراج مختلف مسائل العلوم والآراء الفلسفية منها[1].

وثم تقارب بين التعريفين وإن اختلفا في بعض الألفاظ، ومن الممكن أن نمزج بينهما بتعريف أوضح فنقول:

هو التفسير الذي يفهم المفسر من خلاله آيات القرآن الكريم وفق ما أثبته العلم من حيث إنه تضمن هذه الحقائق العلمية التي لم يكن للبشر معرفة بها إبان نزول القرآن للدلالة على إعجازه وأنه من عند الله.

---

(١) التفسير والمفسرون، واتجاهات التفسير في العصر الحديث(٢٤٧).

أسباب ظهور التفسير العلمي:

ارتبط ظهور التفسير العلمي بمزج العلوم الكونية بالتفسير، وذلك لأن القرآن الكريم عندما نزل على رسول الله -ﷺ- كان الذين خوطبوا به لأول مرة عربًا اكتملت فيه خصائص العروبة، وأن كانوا مع ذلك أميين لا يعرفون القراءة والكتابة، وليس لديهم إلمام بها ففهموا إعجاز القرآن فهمًا سهلاً جاريًا على سنن الفطرة والبساطة، ولم يحتاجوا في فهمهم القرآن للقرآن إلى اصطلاحات فنية، ولا إلى نظريات علمية، لقد أدركوا إعجازه بسليقتهم العربية السليمة وذوقهم البلاغي الرفيع، وفهموا هدايته بعقولهم الصافية وذكائهم الفطري، ولغتهم العربية الفصحى التي نزل بها القرآن المجيد، والتي لم تدنسها لكنة العجمة، وإذا استعانوا بشيء من فهم هدايته فبالنظر في كتاب الكون وآيات الله في الآفاق، وما خلق الله فيهم وحولهم من عجائب، ثم بما يسمعون من بيان رسول الله -ﷺ-[1].

ومن ثم ارتقى القرآن بمستواهم الفكري وحرر عقولهم من ربقة التقليد وجعل الكون أمامهم ميدانًا فسيحًا للتأمل والنظر لترقى مداركهم وجعل من وسائل دعوته إلى الإيمان تدبر آياته في الآفاق قال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[2].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[3].

---

(١) مناهل العرفان ١/ ٥٦٥.

(٢) سورة البقرة الآية (١٦٤).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٩٠-١٩١)

وحين اتسعت رقعة الإسلام وانضوى تحت لوائه أمم وشعوب لا تعرف العربية ولها ثقافات علمية وفلسفية مختلفة، اختلط المسلمون وتعايشوا مع أهل هذه البلاد المفتوحة.. وكان نتيجة هذا الاختلاط.

١-تطرق اللحن إلى العربية وفسد الذوق والحس العربي لدى البعض، مما دعا إلى وضع ضوابط تعصم اللسان العربي من الخطأ في النطق، ويؤدي ذلك إلى فهم الكتاب العزيز والسنة المطهرة فهمًا صحيحًا ، ومن ثم نشأت علوم اللغة العربية -النحو- والصرف- والبلاغة-.

٢-سبقت الإشارة إلى ترجمة علوم هذه الأمم التي دخلت في الإسلام وانتشرت هذه العلوم.. فكان من الحكمة التوفيق بينها وبين القرآن من ناحية، وفهم القرآن على ضوء الصحيح منها من ناحية أخرى.. فالإسلام لا يعادي العلم بل هو حليفه ودعا إليه وبدأت فلسفات وعلوم السابقين تتسرب رويدًا رويدًا إلى فكر المسلمين ولم يمض وقت طويل حتى كان العرب المسلمون يقرؤون بلغتهم -العربية- معظم ما كتبه فلاسفة اليونان.. بل تجاوزوها إلى علوم الفرس والهند. ولعل السر في ذلك كما يذكر صاحب -ضحى الإسلام- يرجع إلى مرونة اللغة العربية وسعة الاشتقاق فيها وغيره هو الذي جعلها تستطيع أن تكون لغة القرآن الكريم والحديث الشريف وما فيها من معان في غاية السمو والرفعة ، وما فيها من تعبيرات دينية واجتماعية وتشريعية لا عهد للعرب بها في جاهليتهم، كما استطاعت بعد أن تكون أداة لكل ما نقل من علوم الفرس والهند واليونان وغيرهم، وفي نحو ثمانين سنة من بدء العهد العباسي كانت خلاصة هذه الثقافات مدونة باللغة العربية[1].

ولم يكن يقف الأمر مع المسلمين عند الترجمة فحسب، فلم يكونوا ناقلين بل كانوا مبتكرين مبدعين في هذه العلوم التي نقلوها من اللغات الأخرى إلى لغتهم، فقد فسروها وأضافوا إليها شروحًا وتعليقات لها قيمة عظيمة، وقام المسلمون بدور عظيم في خدمة الثقافة

---

(١) ضحى الإسلام أحمد أمين ١٩٢.

العالمية والارتقاء بها؛ لأنهم أنقذوا هذه العلوم من فناء محقق فبعثوا فيها الحياة.

ونخلص إلى القول: بأن حركة الترجمة وتعلم المسلمين لثقافات غيرهم كان السبب **الأول** في ظهور التفسير العلمي.

ثانيًا: ثاني هذه الأسباب أن القرآن المجيد وجه العقل إلى التأمل والنظر في آيات الكتاب المنظور –الكون– لتتجلى له حقائق الوجود وأسراره وعجائبه التي لا تنتهي قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (١)﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾(٢).﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾ (٣).

فإذا كانت هذه دعوة القرآن للتأمل والنظر والبحث في خفايا الوجود ليرقى الإنسان بقلبه وعقله ووجدانه وليزداد إيمانا... فليس بمستغرب أن يسعى بعض العلماء إلى الكشف عن أسرار الوجود... وكلما تعمق المسلمون في العلوم نظروا إلى القرآن من خلالها، فإذا أتت آية في الرعد والبرق شرحوها بكل ما وصل إليه علمهم في الظواهر الجوية، وإذا أتت آية في النجوم والسماء طبقوا ما علموا من علم الهيئة وهكذا(٤).

٣–من أسباب ظهور التفسير العلمي أن الأمة الإسلامية فضلت على سائر الأمم وفضلها مستمد من اعتصامها واعتزازها بالقرآن المجيد الذي أعلن خيرية هذه الأمة في قوله سبحانه ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (٥)هذه الخيرية التي وصفت بها لابد أن تنسحب على كل

---

(١) فصلت : ٥٣

(٢) سورة الذريات الآيات(٢٠–٢١).

(٣) سورة ق الآية (٦).

(٤) انظر: ضحى الإسلام ٣٦٩.

(٥) سورة آل عمران الآية (١١٠).

أطوار حياتها فتبحث من خلال القرآن العظيم عن سعادتها ورقيها – في شتى مناحي الحياة- والقرآن المجيد وعاء زاخر، وعطاء متجدد لا ينفد ولا يبلى قد ذكر ما يتعلق بالعلوم التي من شأنها أن ترقى بالأمة مكانًا عليا، والمتمثلة في آيات الأنفس والآفاق...وانطلاقا من ها – المعنى- أخذ الغيورون ينقبون ويبحثون في أسرار الكتاب المعجز فاتجهت همتهم إلى التفسير العلمي لآيات القرآن الكونية. وغرضهم بيان هداية القرآن في ضوء العلم.

١-أن هذه الآيات تتعلق بالإعجاز... كما أنها تساير أفكار الناس ومشاربهم بما يشبع حاجتهم من ثقافات علمية وكونية فالمفسر لا يفسر لنفسه، وإنما يفسره لغيره، فكان من مقتضى أساليب إيضاح هداية القرآن شرح ألفاظ القرآن في الظواهر الطبيعية والعلمية بالطريقة العلمية المألوفة لهم.

٢-وآخر هذه الأسباب... دفع ما يزعمه بعض الناس من أن هناك عداوة بين العلم والدين، وكذلك الإيمان بأن القرآن قد اشتمل على كل ما يحتاج إليه الناس من أنواع السعادة و أنه صالح لكل زمان، ومساير لجميع العصور[1].

□

(١) انظر مناهل العرفان ١/ ٥٦٨، وعلوم القرآن ٧٥.

التفسير العلمي بين القبول والرفض

منذ ظهور هذا المنهج التفسيري انقسم العلماء إلى فريقين..

الأول: يقبل تحكيم المصطلحات العلمية في القرآن وحمل آياته على ما يوافق ما توصل إليه العلم؛ لأن القرآن –في نظره– موسوعة لكل العلوم، ما جد منها وما سيجد –في المستقبل وبالغ بعض أنصار هذا المنهج في قضية الإعجاز العلمي فجعل القرآن مشتملاً على كل المستحدثات والمخترعات، وظهر من خلال ذلك مصطلح –الإعجاز العلمي–.

الثاني: فريق من العلماء وأظنه الأكثر يرفض هذا المنهج ويرده ويفرق بين الحقائق الدينية التي جاءت في القرآن ، ويبين النتائج العلمية التي توصل إليها العقل البشري.

ولكل وجهة فيما ذهب إليه وأدلة تؤيد ما يذعن له ويرتضيه...

أدلة القائلين بالتفسير العلمي:

١–استدلوا بالآية الكريمة ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[1] فالآية تشير إلى أن القرآن يشتمل على كل شيء ويحملون معنى الكتاب في الآية على القرآن، وقد يراد بالكتاب اللوح المحفوظ.

ذكر الرازي المعنيين ورجح أن المراد بالكتاب –القرآن– لأن الألف واللام إذا دخلا على الاسم المفرد انصرف إلى المعهود السابق، والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن، فوجب أن يكون المراد من الكتاب في الآية المذكورة –القرآن–[2].

والرافضون يرون أن المراد بالكتاب في الآية –اللوح المحفوظ– وهذا يتسق نع سياق الآية وع قوله سبحانه ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ

---

(١) سورة الأنعام الآية (٣٨).

(٢) التفسير الكبير ٤/ ٤١.

فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾[1] تأييدًا للنظائر القرآنية.

ويذكر القاسمي[2]: لقائل أن يقول: كيف قال تعالى: " ما فرطنا في الكتاب من شيء" مع أنه ليس فيه تفاصي علم الطب والحساب، ولا تفاصي كثير من المباحث والعلوم؟ فالجواب أن قوله من شيء يجب أن يكون مخصوصًا بين الأشياء التي يجب معرفتها والإحاطة بها، وبيانه من وجهين:

الأول: أن لفظ التفريط لا يستعمل نفيًا وإثباتًا إلا فيما يجب أن يبين؛ لأن أحدًا لا ينسب إلى التفريط والتقصير في أن لا يفعل ما لا حاجة إليه وإنما يذكر هذا اللفظ فيما إذا قصر فيما يحتاج إليه.

الثاني: أن جميع آيات القرآن أو الكثير منها دالة بالمطابقة أو التضمن أو الالتزام على أن المقصود من إنزال هذا الكتاب بيان الدين ومعرفة الله وأحكامه، وإذا كان هذا التقييد معلومًا من كل القرآن كان المطلق ها هنا محمولاً على المقيد.

١-استدلوا بالسنة النبوية المطهرة لتأييد ما ذهبوا إليه من ذلك ما جاء في الصحيحين أن النبي -ﷺ- سئل عن الحمر الأهلية -عن صدقتها- فقال: ما أنزل الله على آلا في الحمر شيء إلا هذه الآية الفاذة -المنفردة في معناها- الجامعة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾[3]. والحديث رواه البخاري ٦/ ٤٠٥ ومسلم ٦/ ٦٧.

ووجه الدلالة في الحديث.. هذا نص يشهد على أن كل ما دخل تحت نص قرآني عام يعتبر قد نص عليه القرآن؛ لأن من الواضح أن الحمر الأهلية وصدقتها لم تذكرها الآية، وإنما دخلت

---

(١) سورة هود الآية (٦).

(٢) انظر محاسن التأويل للقاسمي.

(٣) سورة الزلزلة الآية (٧-٨).

فيها عن طريق الشمول والعموم[1].

وجاء في الصحيحين من حديث ابن مسعود لعن رسول الله -ﷺ- الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والفالجة والمتفلجة والنامصة والمتنمصة... وجاءت إليه امرأة وقالت قرأت ما بين الدفتين – القرآن فلم أجده فقال- ﷺ- إن قرأتيه فقد وجدتيه أما قرأت قوله تعالى ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ الحشر: ٧ قالت بلى! قال فإنه قد نهى عنه[2].

ووجه الاستدلال: أن الصحابة كانوا يرون أن كل ما أمر به النبي -ﷺ- أو نهى عنه قد نص عليه القرآن بعموم تلك الآية رغم السياق الذي وردت فيه مما يشهد للقاعدة القائلة "إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" واختراعات الإنسان لا يمكن أن يذكر القرآن شيئًا منها بذاته؛ لأنها كانت مثل مخترعات المستقبل في عالم الغيب ليس لأحدهما اسم يذكر به، فلم يكن هناك طريق لإحاطة القرآن بها إلا عن طريق الإشارة الكافية، أو العبارة العامة، أو تفسير الرسول -ﷺ- لنص قرآني عام[3].

١ –ومن أدلتهم آثار واردة عن بعض الصحابة من ذلك قول أبي الدرداء "لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهًا" وقول ابن مسعود "من أراد علم الأولين والآخرين فعليه بالقرآن وقوله: "أنزل في هذا القرآن كل علم، وبين لنا فيه كل شيء، ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن"[4].

ووجه الاستدلال بهذه الآثار أن الصحابة صرحوا بأن القرآن حوى كل العلوم ما عرف

---

(١) د. الغمراوي الإسلام في عصر العلم ٣٦٩.

(٢) رواه البخاري ١٢/ ٤٩٤ ومسلم ١٤/ ١٠٥.

(٣) الإسلام في عصر العلم ٣٧.

(٤) انظر البرهان للزركشي ٢/ ١٥٤، وروح المعاني ٢/ ٤٧١.

منه وما سيعرف ويكتشف.

وبعد أن استدلوا بهذه الأداة النقلية ذكروا أدلة عقلية تؤيد ما ذهبوا إليه في قبول المنهج العلمي. وأسوقها مختصرة فيما يلي:

أدلة عقلية:

١-القرآن العظيم حجة الله البالغة على عباده، وموضع الحجة فيه إعجاز الخلق، وينبغي ألا يكون إدراك إعجازه موقوفًا على فصحاء العرب ومن شاكلهم، فالإنسانية كلها مخاطبة به، والإنسانية العجم فيها أكثر من العرب، ولا بد أن يتضح إعجاز القرآن لكل إنسان ولو كان أعجمي اللسان لتلزمه الحجة إن هو امتنع عن الإسلام، وعليه فلابد أن تكون لإعجاز القرآن جوانب أخرى غير الإعجاز البلاغي ، وغير التنبؤات التي كانت في عالم الغيب حين نزل القرآن، تلك الناحية العلمية التي لا يتوقف تقديرها والتسليم بها على معرفة لغة لا تتيسر معرفتها لكل أحد.

١-إن الإعجاز العلمي يعجز الملحدون عن أن يجدوا فيه موضعا للتشكيك، فإن الحقيقة العلمية التي يذكرها القرآن لابد أن تقوم عند كل ذي عقل دليلاً محسوسًا على أن خالق هذه الحقيقة هو منزل القرآن... كما أن القرآن اشتمل على كثير من الآيات الكونية ويتوقف على فهمها في ضوء الحقائق العلمية تيسير الدعوة إلى دين الله في هذا العصر –عصر العلم-.

٢-اشتمل القرآن الكريم على وصف دقيق شامل عن العالم المادي في صورة أصول وجوامع من العلم الدقيق الذي لم يكن أحد يعلمه حين نزل القرآن، وإن العلم الحديث الذي ظهر بعد نزول القرآن قد أيد ما جاء في القرآن من العلم الدقيق بالكائنات وأقام من نفسه شاهداً على صحة ما جاء في القرآن من قبله ولم يعارضه في شيء[1].

---

(١) انظر تفصل ذلك في الإسلام في عصر العلم ٢٢٢، والتفسير العلمي للآيات الكونية.

أدلة الرافضين للتفسير العلمي:

استدل الرافضون والمعارضون للتفسير العلمي بأدلة نوجزها فيما يلي:

١-إن المهمة الأساسية للقرآن الكريم مهمة عقدية دينية وليست مهمة علمية، وإن الفهم الدقيق لألفاظ القرآن يحتم علينا أن نفهمها في حدود الاستعمال الذي نزلت فيه، وهذا يحول بيننا وبين أن نتوسع في جعلها تدل على معان تعرف بها وقت نزول القرآن الكريم.

٢-إذا كانت البلاغة مراعاة مقتضى الحال فيجب الوقوف بعبارات القرآن عند فهم العرب الخلص لها ولا نتجاوز ما ألفوه من علومهم وأدركوه من معارفهم.

٣-ينبغي الاستفادة من النظريات العلمية دون إقحامها على القرآن الكريم أو اعتبار أن القرآن مطالب بموافقتها كلما تغيرت من زمن إلى زمن ومن تفكير إلى تفكير[١].

٤-يرى الرافضون المعارضون أن إدخال التفسيرات العلمية للآيات الكونية بالصورة التي نراها وجرى عليها بعض الكتاب لا بد وأن تؤدي في القريب أو البعيد إلى وقوع صراع بين الدين والعلم" لأن التفسير العلمي يحمل أصحابه على تأويل القرآن تأويلاً متكلفًا يتنافى مع الإعجاز ولا يسبقه الذوق السليم[٢].

٤-يذكر الشاطبي أن السلف الصالح –من الصحابة والتابعين ومن يليهم- كانوا أعرف الناس بالقرآن وعلومه وما أودع الله فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى، ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة، إلا أن ذلك لم يكن،، فدل على أنه غير موجود عندهم، وذلك دليل على أنه لم يقصد فيه تقرير لشيء مما قالوا[٣].

٥- من أقوى أسباب الرافضين عدم ثبوت النظريات العلمية فالنظريات ليست مطلقة أو

---

(١) الفلسفة القرآنية ١٨١ وانظر التفسير معالم حياته منهجية اليوم.

(٢) الشيخ شلتوت تفسير القرآن الكريم.

(٣) انظر الموافقات ٢/ ٧٩.

دائمة، فماذا لو ثبت أن نظرية من هذه النظريات غير مرادة وفقدت أهميتها وعدم صلاحيتها، أو تم تعديلها بالكلية؟ ماذا يحدث لو ربطنا القرآن بمثل هذه النظريات المتغيرة المتقلبة وعلقنا صحته على صحة النظرية.

الحق أن هذا لا يليق -أبدًا- بالكتاب العزيز الذي يهدي للتي هي أقوم، كما أن ربط إعجاز القرآن بهذه العلوم له خطره، فمعلوم أن العرب الذين تحداهم القرآن كانوا أميين، وعلى هذا يكون القرآن تحدى أناسًا ليس لهم حظ في العلوم بالمعنى الدقيق، ومن هنا يكون التحدي باطلاً، وهذا مخالف للقرآن ولقضية التحدي والإعجاز...

وبعد فهذه أهم أدلة الفريقين وبالتأمل فيها نجد أن لكل فريق وجهة وأدلته لها وجاهتها وبريقها فأي الفريقين أقوى حجة وأنصع برهانًا؟

□

مناقشة ورأي:

لو تأملنا تباين الاتجاهين، وما ساقه أنصارهما من حجج تؤيد كلا فيما ذهب إليه، نخلص إلى تقرير حقيقة.. وأنا أقولها صراحة وأوجزها فيما يلي.

١-لكل منهما طريقته في الزود عن القرآن والإسلام ونحسن الظن بالمعتدلين من كلا الفريقين.

٢-إن المعتدلين الذين لهم غيرة على القرآن يريدون أن يثبتوا للعالم كله أن القرآن من عند الله، وقد أودعه حقائق علمية يريدون أن يثبتوا للقرآن لون إعجاز لم يكن معهودًا، ويضيفوا للقرآن أمجادًا إلى أمجاده، وإلى براهين صدقه.

٣-إن الرافضين المعارضين يرون -بدافع الغيرة والخوف على القرآن- أن المكتشفات العلمية عرضة للتبديل والتغيير وهؤلاء لا يريدون أن يربطوا القرآن وتفسيره بعلم متغير، وكفى القرآن شرفًا ومجدًا أنه حث على العلم والتأمل والبحث والنظر، ولم يقف حجر عثرة في سبيل التقدم العلمي والفكري.

٤-إن الموقف المعارض لهذا المنهج التفسيري يرجع إلى أن بعض المتحمسين دفعهم حماسهم -بلا انضباط- إلى تفسير بعض الآيات تفسيرًا علميًا جافًا بعيدًا عن هدف القرآن السامي، ولا يستند إلى دليل معقول.

فحين يظهر مكتشف علمي يسارع هؤلاء ويقتطعون من كتاب الله ما يوهم صاحب النظرية المتسرع أنه يسير مع المكتشف الحديث، ويدعى هؤلاء أنهم أقدر على فهم أسرار الله كتاب الله من غيرهم وأنهم يستنبطون قضايا العلم الحديث، دون أدنى مراعاة منهم لشروط وضوابط التفسير الصحيح لكتاب الله العزيز وهؤلاء يبالغون في دعواهم ويكتبون بلا روية ولا تأمل، فإن أصابوا في ناحية أخطأوا في نواح أخرى، ويدعون ما لم يثبته العلم أو يؤكده، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا، وهذه الأخطاء كانت السبب المباشر في حمل كثير من العلماء على

التفسير العلمي ورفضهم إياه، وكان من الواجب أن يأخذوا أنفسهم بالحيطة والحذر حتى لا تزل بهم القدم، فالنزعة التي أخذوا بها أنفسهم نزعة صعبة المراس محفوفة بالأخطار، وفي حاجة ماسة في الوعي والاستقصاء والتسلح لتفسير كتاب الله لا بالعلم الذي نبغوا فيه فقط، ولكن بالعلوم الدينية والعربية[1].

رأينا في القضية.. بعد هذا العرض وتقرير هذه الحقائق فالذي أراه وتطمئن إليه النفس أن التفسير العلمي لا يقبل بإطلاق دون ضوابط تضبطه، ولا يرفض بإطلاق دون مراعاة لليقيني الثابت من العلم... وعلى هذا!!

فالرافضون لهذا المنهج ليس لمجرد الرفض وعدم القبول ولكن!! إذا كان التفسير قائما على الوهم والتخمين والتعسف في التأويل فهذا مرفوض ومردود، ولا يقبل بأي شكل، أما إذا كان مستندًا إلى التصريح الواضح واليقيني الثابت من العلم فلا مانع من قبوله والاستفادة منه فهناك حقائق علمية لا تنكر، وإذا كانت دعوة القرآن الأساسية الهداية و الإرشاد فإن تفسير آياته الكونية بالحقائق العلمية اليقينية لا تحول –أبدًا– دون هدايته وإرشاده..

وقول الرافضين المعارضين إن نزول القرآن كانفي أمة أمية لا سبيل لها إلى المعرفة العلمية الدقيقة، فيرد على ذلك بأن القرآن المجيد لم يخاطب جيلاً بعينه ولا أمة بعينها، ولم يكن نزوله لهم فحسب، بل هو للناس جميعًا مذ نزل وحتى قيام الساعة ، وكل جيل يأخذ منه ويكشف عن أسراره من خلال ما تيسر لديه من أدوات البحث ووسائل المعرفة، والقول بأن النظريات العلمية عرضة للتبديل والخطأ وليس لها استقرار أو دوام فهذه القضية متفق عليها بين المؤيدين والمعارضين، لكن!! ما المانع من الأخذ باليقيني الثابت الذي لا تشوبه شائبة شك أو احتمال من الحقائق العلمية.

" وعلى هذا يكون تفسير آية أو آيات بما كشفه العلم من سنن كونية ما هو إلا فهم للآية

---

(١) انظر الدراسة القيمة " العلم والإيمان في بناء المجتمع " د الراجحي.

بوجه من وجوه الدلالة على ضوء ما قال به العلم، وليس معنى هذا أن الآية لا تفهم إلا على هذا الوجه من الوجوه، وعليه فإذا ظهر خطأ فهم الآية على ذلك الوجه لا خطأ الآية نفسها، كما يقول المعارضون وذلك كما يفهم حكم ما من آية ثم يتبين خطأ فهمه منها بظهور دليل على هذا الخطأ[1].

وفي رده على المعارضين للمنهج العلمي يذكر الدكتور الغمراوي: أن بعض المعترضين على أهل التفسير العلمي لكونيات القرآن يتهمونهم بأنهم يبنون تفسيراتهم على نظريات علمية لم تبت، وهذا إذا صدق على بعضهم، فليس يصدق على جميعهم، وأغلبهم لا يفسرون النص القرآني إلا بالحقيقة الثابتة في العلم، مدركين أن الدقة والاحتياط لا زمان في كل بحث، وأنهما في البحوث القرآنية ألزم منهما حتى في العلوم التجريبية؛ لأن أهل هذه العلوم بعضهم رقيب على بعض، فالتعرض لتفسير شيء من الكتاب العزيز عرضة للخطأ وتبعه خطئة واقعة عليه هو لا على الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وإلا لاشترطنا في المفسر أن يكون معصومًا من الخطأ، وهو شرط مستحيل أن يتحقق في غير نبي – فلا عصمة إلا للأنبياء– وتكون النتيجة تحريم تفسير آيات القرآن على كل إنسان بعد عهد النبي –ﷺ– يستوي في ذلك ما يتعلق بالآيات الكونية وغيرها من آيات القرآن الكريم[2].

ومن هنا فلا يليق أبدًا أن نتعسف في فهم الآية القرآنية لتطاوع العلوم حتى نفسرها لكن!! إذا اتفق ظاهر الآية القرآنية مع حقيقة علمية ثابتة فلا حرج من الاستئناس بها.

"لأن القرآن المجيد في تناوله لتلك الحقائق العلمية لم يقصد البيان العلمي الدقيق، بمعنى أن يعلمنا الكيمياء أو الفيزياء والهندسة؛ لأن القرآن كسائر الكتب الإلهية المنزلة ليست مهمته البحث في شئون الكون وأسرار الوجود والمسائل العلمية المتعلقة به على الشكل المألوف

---

(١) أصول الفقه ٣٠ عبدالوهاب فايد.

(٢) الإسلام في عصر العلم ٢٦٤ وما بعدها.

في الدراسات العلمية الخاصة الموضوعة فيها، وإنما يهدف القرآن من وراء ذلك إلى ما هو أعظم من ذلك بكثير وهو تقرير حقيقة الألوهية الحقة للذي خلق هذا الكون بما فيه من بديع من بديع الصنع وإتقانه، ولهذا تجده يمس حقائق الكون مسًا رقيقًا يأخذ باللب ويؤدي إلى العبرة والعظة، أما تعلم هذه الحقائق العلمية والكشف عنها وعن أسرارها وخفاياها فهو نشاط عقلي وفكري متروك للإنسان أن يرتاده وفق مؤهلاته الفكرية والعلمية، ولا علاقة للقرآن المجيد به إلا من حيث الحث عليه والأمر به والتوسع في هذا -كما نراه الآن- ليس من طبيعة القرآن، فتلك دراسات تختص بشئون الدنيا، والرسول الكريم -ﷺ- لما نهى أصحابه عن تأبير النخل فشاص، قال لهم: "أنتم أعلم بشؤون دنياكم والحديث في صحيح مسلم"[1].

بعد هذا البيان للتوفيق بين الرأيين المتباينين حسبي أننا قد وصلنا إلى كلمة سواء تجل القرآن المجيد وتحفظ له قداسته، وفي الوقت نفسه نفيد من حقائق العلم اليقينية.

ومن ثم لابد من مراعة ضوابط عامة تضبط التفسير العلمي.

---

(١) انظر العلم والإيمان في بناء المجتمعات ١٢٤.

ضوابط التفسير العلمي:

١-من الأمور البدهية استحالة التعارض والتناقض بين آيات القرآن الكريم، فكل ما يبدوا للناظر في آي القرآن من أول وهلة أن ثم تعارضًا بين الآيات إنما يرجع إلى سوء فهم، أو تقصير في البحث أو نقص في العلم، كما أن التناقض والتعارض مستحيل بين آيات القرآن والفطرة الكونية في حقائقها، فكله من عند الله، والحق لا يتعارض ولا يتناقض

٢ -المطابقة بين النص القرآني ونتائج العلم إنما تكون بين القرآن والحقائق اليقينية الثابتة، التي لا شك فيها ولا يختلف عليها أحد من أهل الاختصاص[١]. فلا يطابق المفسر العلمي بين آي القرآن والنظريات التي لا تزال محل فحص وتمحيص عند أهلها، اللهم إلا للحكم عليها بالصحة والبطلان، بموافقتها أو مخالفتها للقرآن الكريم.

٣-لا ينبغي فهم الآيات الكونية من القرآن الكريم أن نعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا كانت القرائن الواضحة تمنع من حقيقة اللفظ وتحمل على مجازه، إن مخالفة هذه القاعدة الأساسية قد أدى إلى كثير من الخطأ في التفسير.

٤-يجب ألا نفسر كونيات القرآن إلا باليقين الثابت من العلم لا بالفروض ولا بالنظريات التي لا تزال موضع فحص وتمحيص، إن الحقائق هي سبيل الحق هي كلمات الله الكونية ينبغي أن نفسر بها نظائره من كلمات الله القرآنية، أما الحدسيات والظنيات فهي عرضة للتصحيح والتعديل إن لم يكن للإبطال في أي وقت، فسبيلها أن تعرض على القرآن ليتبين مبلغ قربها منه أو بعدها عنه، وعلى مقدار ما يكون بينها وبينه من اقتراب يكون حظها من الصواب[٢].

وتأتي ضرورة هذا الضابط عند التفسير العلمي؛ لأن القرآن له أسلوبه الخاص الحكيم في

---

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن ٦٧٦.

(٢) الإسلام في عصر العلم ٢٢٣.

خطاب الناس على قدر عقولهم من غير مخالفته للحقيقة الكونية في شيء، بل إذا آن الأوان وأظهر الله عباده على هذه الحقيقة كان التعبير القرآني دالاً عليها إما تصريحًا وإما إشارةً وكناية في اللغة التي أعدها الله لتحمل معاني القرآن[1].

١-ألا يحمل الآيات القرآنية على النظرية العلمية حملاً ويتعسف في ذلك، فإن كانت الحقيقة العلمية مطابقة لمعنى الآية تمام المطابقة فبها ونعمت... وإن لم تطابق فلا قيمة لها، وأن يجعل -المفسر- مضمون الآيات الكونية أصلاً للمعنى الذي يدور حوله الإيضاح والتفسير.

٢-مطابقة التفسير العلمي للمفسر -من الآيات- من غير نقص لما يحتاج إليه من إيضاح المعنى، ولا زيادة لا تليق بالغرض ولا تناسب المقام، وأن يراعى التأليف بين الآيات وتناسبها ومؤاخاتها فيربط بينها لتكون وحدة موضوعية متكاملة، هذه أهم ضوابط التفسير العلمي... يضاف إليها الضوابط العامة التي ذكرنا سلفًا.

---

(١) السابق ٢٥٤.

التفسير العلمي والإعجاز:

نؤكد ما أشرنا إليه من استحالة التناقض بين آيات القرآن وحقائق الكون.. فلا يمكن أن يتصادم القرآن مع أية حقائق كونية، لماذا؟ لأن القائل هو الخالق.. ولا يمكن أن يكون هناك إنسان أعلم بقوانين الكون من خالقه ومدبر أمره.. وننبه إلى أن القرآن الكريم له عطاء متجدد، وهذا العطاء المتجدد هو استمرار لمعنى إعجاز القرآن ولو أفرغ القرآن عطاءه كله أو إعجازه في عدد من السنوات، أو في قرن من الزمان لاستقبل القرون الأخرى دون إعجاز أو عطاء، وبذلك يكون قد جمد، والقرآن لا يجمد أبدًا ، وإنما يعطى لكل جيل بقدر طاقته، ولكل فرد بقدر فهمه، ويعطي للجيل القادم شيئًا جديداً لم يعطه للجيل الذي سبقه[1]، وهكذا يتجدد عطاؤه ليسع الناس جميعًا.

ولهذا نجد رسول الله -ﷺ- حين تنزل عليه القرآن لم يتعرض بالتفسير إلا لما تقتضيه أحكام الدين أما ما يتصل بقوانين الكون مما سيكشفه الله من علم البشر في المستقبل وما سيظهر بعد ذلك للعالم فلم يتعرض له التفسير لماذا؟ لأن العقل حين نزول القرآن لم يكن عنده الاستعداد العلمي ليفهم حقائق الكون، ولذلك أخذ منها قدر حجمه، وأعطاه القرآن ما يرضيه، ثم مرت السنوات والقرون وظهرت حقائق علمية حديثة فتبين لنا أن عطاء القرآن فيها كان عطاء متجدداً.

وعلى هذا!!! فلا يحق أن نغفل جانب الإعجاز العلمي وحقائقه الثابتة، التي أخذت في النمو والانتشار.

فالقرآن -كما يقول الرافعي-: بآثاره النامية معجزة أصلية في تاريخ العلم كله على بسيط هذه الأرض، من لدن ظهر الإسلام إلى ما شاء الله، لا يذهب بحقها اليوم أنها لم تكن قبل إلا سبباً فإن في الحق ما يسع الأشياء وأسبابها جميعا.

---

(١) معجزة القرآن ٨٦.

وليس يرتاب عاقل ممن يتدبرون العلم الحديث ويستقصون في أسباب نشأته، ويتشبثون عند الخاطر من ذلك إذا أقدموا عليه، وعند الرأي إذا قطعوا به؛ وفي تقدم وانبساط ظل العقل فيه، وقيامه على أرجائه، وفي نموه واستبحار عمرانه، فإنما كان القرآن أصل النهضة الإسلامية وهذه كانت على التحقيق هي الوسيلة في استبقاء علوم الأولين وتهذيبها وتصفيتها، وإطلاق العقل فيما يشاء أن يرتع منها وأخذه على ذلك بالبحث والنظر والاستدلال والاستنباط، وتوفير مادة الروية عليه بما كان سببا في طلب العلم للعمل، ومزاولة هذا لذاك،... وهذا كله كان أساس التاريخ العلمي في أوروبا، فما من موضع في هذا -الأساس- القائم إلا وأنت واجد من دونه قطعة من الآداب الإسلامية أو العقول الإسلامية، أو الحضارة الإسلامية، فالقرآن من هذا الوجه إنما هو الباب الذي خرج منه العقل الإنساني المسترحل بعد أن قطع الدهر في طفولة وشباب[1].

كيف تسنى لرسول الله -ﷺ- أن يأتي بذلك كله، وبما لا تزيده الأيام والسنون وتقدم العلوم إلا تصديقًا وداعيًا إلى التصديق واليقين؟!

إننا نردد قول ربنا -جل ثناؤه- ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[2].

والقرآن المجيد في عطائه المتجدد يقدم الكثير حتى إذا ادعى الأدعياء أن عصر الإيمان قد انتهى، وبدأ عصر العلم، وبدأت الاكتشافات تغزو العالم وتبهر العقول.. نقول لهؤلاء: إن الحق وضع في قرآنه ما يعجو الناس جميعًا ويثبت أن عصر العلم الذي يتحدثون عنه قد بيته القرآن في صورة حقائق الكون.. بينه كحقائق كونية، ولم يكتشف العقل البشري كنهها وحقيقتها إلا في العقود المتأخرة، وفي آية معجزة تأخذ باللب يوضح القرآن المجيد هذه الحقيقة

---

(١) إعجاز القرآن ١١٥، ١١٤.

(٢) سورة الشعراء الآية ١٩٢-١٩٥.

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[1].

ولنتأمل حرف السين في قوله: "سنريهم" التي تدل على المستقبل .. والمستقبل هنا لا ينتهي.. بل عطاؤه مستمر لكل الأجيال المتعاقبة وحتى قيام الساعة ومن ثم نقول: بكل ثقة واطمئنان إن قضية إعجاز القرآن لا تزال –وستظل– بكرًا، وبحرًا لا يغيض ماؤه، ومدادًا لكل من رامه مع كل ما كتب فيه[2].

وهذا الإعجاز باق كما يقول الزركشي: لأن القرآن معجزة باقية على الزمن فالتحدي باق معها على الزمن، فهو تحد لأهل كل عصر كما كان تحديًا لأهل العصر الأول تمامًا[3].

وتحقيقًا لهذا المعنى.. لو أخذنا آية من القرآن المجيد تتعلق بمعنى تتفاوت العقول في فهمه وقرأناها على مسامع جمع من الناس يتفاوتون في الفكر والثقافة والإدراك سنجد أن الآية الواحدة تعطي كل واحد من المستمعين لها معنى بقدر ما يفهمه، وكل واحد يستفيد منها بقدر إدراكه وفكره وعلمه... وليس معنى ذلك أن الآية فيها تناقض أو تعارض في الفهم، ولكن لها معنى ظاهر وعمق وجذور يتضمنها جميعًا.

ولنأخذ على سبيل المثال قول الله تعالى ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾[4].

ومثلها قوله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ

---

(١) سورة فصلت الآية ٥٣.

(٢) انظر دراستنا "نظرات في إعجاز القرآن".

(٣) البرهان ٢/ ١١٠.

(٤) سورة الفرقان الآية (٦١).

نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾[1].

فهذه الآية وما يشبهها تصف كلاً من الشمس والقمر بمعنيين لهما سطح يفهمه الناس كلهم، ولهما عمق يصل إليه المتأملون والعلماء، ولهما جذور بعيدة يفهمها الباحثون المتخصصون، والآية تحمل بصيغتها هذه الدرجات الثلاث للمعنى، فتعطي كلا حسب طاقته وفهمه، فالعامي يفهم أن كلاً من الشمس والقمر يبعثان بالضياء إلى الأرض، وإنما غاير في التعبير تنويعًا للفظ، والمتأمل من علماء اللغة يدرك من وراء ذلك أن الآية تدل على أن الشمس تجمع إلى النور الحرارة فلذلك سماها سراجًا، والقمر يبعث بضياء لا حرارة فيه، وهو أيضًا معنى صحيح تدل عليه الآية دلالة لغوية، أما الباحث المتخصص في شؤون الفلك فيفهم من الآيات إثبات أن القمر جرم مظلم وإنما يضيء بما ينعكس عليه من ضياء الشمس التي شبهها بالسراج بالنسبة له، وهو أيضًا معنى صحيح تدل عليه الآية بلغتها وصياغتها، فيقال: غرفة منيرة إذا انعكس عليها الضوء من سراج في وسطها، ولا يقال قمر منير، إذ النور ينبعث من حقيقته وداخله بل يقال قيس مضيء، فالآية في أسلوبها وصياغتها تخاطب الناس بما يدركون منها كلاً على حسب استعداده وطاقته الفكرية، وبذلك تكون خطابًا مفيدًا للناس جميعًا.

ومثال ذلك ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2].

قرأ السلف هذه الآية ففهموا منها أن الله تعالى يمتن عليهم بأن ذلل لهم هذه الأنواع من الحيوان لتكون وسيلة إلى قضاء حوائجهم وبلوغ مآربهم، وللزينة باتخاذها وكسبها، فإذا قرأوا الجملة التي تليها " ويخلق ما لا تعلمون" ذكروا تفسيرات مختلفة لهذه الجملة، ويقرؤها المسلم

---

(١) سورة نوح (١٥-١٦).

(٢) سورة النحل الآية (٨-٩).

في هذا العصر فلا يشك في أن المراد بها هذه الوسائل الحديثة الأخرىٰ التي أضيفت إلىٰ الوسائل السابقة والتي ستحدث في مستقبل الأيام مما لا نعلمه نحن الآن أيضًا، وهكذا نجد الآية خطابًا -لأهل العصر الذين عايشوا نزول القرآن- وللعصور المتتابعة كلها، وليست خاصة بقوم دون قوم، أو جيل دون جيل، وهيهات أن يقوم البشر علىٰ صياغة كلام يكون علىٰ قدر أفهام الناس المتفاوتة، وعلومهم المختلفة المتطورة بحيث يشعر كل واحد من المخاطبين أن الكلام علىٰ قدر حاجته وفهمه، فالقرآن إعجاز يفوق طاقة البشر[1].

إن نظرة العامي وفهمه لقوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾[2] تختلف عن نظرة وفهم عالم الحياة (البيولجي) إليها، كما أن نظرة العامي إلىٰ السماء وتلألؤ نجومها وسطوع شمسها وقمرها تبعث عنده الإيمان بمدبر هذا الكون وعظمته، والفلكي بمعرفته الواسعة لحركات النجوم وسيرها ونظامها الدقيق وخلقها وأبعادها أقدر علىٰ معرفة العظمة وأشد إعجابًا بخالقها ومدبرها، وهكذا الشأن في العامي وعالم النفس، والعامي والفيلسوف كلهم صالح لأن يتأثر بهذا الأسلوب البياني الرائع مع اختلافهم في الاستعداد والمدارك والعواطف، فالقرآن لا يؤلف برهانه تأليفًا منطقيًا ولا يتعرض لألفاظ الفلسفة؛ لأن الدين لم يأت للفلاسفة وحدهم، ولا للعلماء وحدهم وإنما اعتمد علىٰ الفطرة والعاطفة، وهما قدر مشترك بين الناس جميعًا[3].

فلأسلوب القرآن -كما ذكرنا- من اللين والمطاوعة والمرونة ما يسع الخلق جميعًا.. كل حسب ملكاته الفكرية وقدرته العقلية[4].

---

(١) د البوطي من روائع القرآن ١٣٦، التفسير العلمي للقرآن.

(٢) سورة الطارق الآية (٥-٧).

(٣) انظر التفسير العلمي للقرآن ١٣٦، وضحىٰ الإسلام ١٣.

(٤) انظر خصائص الأسلوب القرآني في دراستنا "نظرات افعجاز".

فمن المتفق عليه أن القرآن لم يعجز الناس من وجه واحد معين.. لأن الإنسانية لها مخاطبة بالقرآن مطالبة بالتسليم له أنه كلام رب العالمين وحجته عليها، وموضع الحجة فيه إعجازه، ولما كانت الإنسانية أعجميها أكثر من عربيها فلابد أن يتضح إعجاز القرآن لكل إنسان ولو كان أعجمي اللسان؛ لتلزمه الحجة إن هو أبى الإسلام وأصر على عناده وخصومته له.

□

رأينا في قضية التفسير العلمي

المنهج الوسطي

بعد عرض آراء العلماء في قضية التفسير العلمي وتباينها نشير إلى تقرير عدة أمور لابد من مراعاتها.

١-يجب البعد عن التكلف في هذا المنهج العلمي حتى لو كانت النتائج صحيحة فإن صحتها ليست مضمونة أو مأمونة على الدوام.

٢-من أهم ما يجب مراعاته أن القرآن المجيد كتاب هداية وتربية وتشريع -فهو منهج حياة- وليس من مقاصده البحث في تفاصيل القضايا العلمية، وحسب القرآن تربية للعقل والوجدان حثه على التأمل والتفكير والنظر في كون الله الفسيح، وأن القرآن لا يمكن بحال من الأحوال أن يصادم حقيقة علمية يقينية ثابتة، ولنقرأ اول سورة البقرة ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾[1].

٣-الخشية من هذا المنهج أن يكون صارفًا عن هداية القرآن ومقاصده الأساسية التي تربي الفرد والمجتمع.

٤-معلوم أن النظريات العلمية -في الغالب- عرضة للتغيير والتبديل، فإذا ربطنا بينها وبين آيات القرآن عرضنا الآيات للتذبذب في دلالتها وذلك تبعًا لتغيير النظرية، ومن ثم يجب ألا تعلق حقائق القرآن القاطعة بفروض نظرية من نتاج العقل البشري.

٥-التمسك بالنص القرآني ودلالته اللغوية من غير أن نتجاوزه إلى مفاهيم غير معلومة، وتوافق المعنى المراد إثباته مع الآيات الأخرى الواردة في نفس الموضوع.

٦-ملاحظة سياق الآية أو الآيات بحيث لا تقطع الآية عن سابقها ولاحقها من الآيات

---

(١) سورة البقرة الآية (٢).

وتفسر وحدها، فلا يجوز حمل الآية أو الآيات على معنى لا ينسجم مع السياق القرآني لتلك الآية أو الآيات، فإن القرآن مرتب ترتيبًا منظور فيه إلى تسلسل المعاني وتناسب أجزاء الكلام بعضها مع بعض، وهو يرجع إلى ركن من أركان مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

١-النظر في تفسير الآيات الكونية يجب أن يتجه أولاً إلى بيان هداية القرآن بيانًا علميًا لا على أساس أن نجعل النظريات العلمية هي تفسير الآيات القرآنية ومعانيها التي قصدها القرآن. ولكن على أساس أن القرآن لا يصادم ما ثبت ثبوتًا لا يحتمل أدنى شك من حقائق العلم.

٢-ألا يكون التفسير العلمي هو المقصود وحده من الآية أو الآيات ، بل تذكر الحقائق العلمية اليقينية الثبوت للدلالة على مواطن الهداية والتربية القرآنية[1].

ربما يظن القارئ الكريم أنني أقف في جبهة المعارضة للتفسير العلمي وأرفض منهجه .. كلا!! ما لهذا قصدت وحسبي ما ذكرت في أول الدراسة حول ضوابط التفسير العلمية التي متى التزم بها المفسر العلمي قبل تفسيره إضافة إلى ما سبق آنفًا.

وأزيد الأمر بيانًا بأن غرض المفسر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه الكريم بأتم بيان يحتمله المعنى ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم، أو يخدم المقصد تفصيلاً وتفريعًا مع إقامة الحجة على ذلك إن كان به خفاء. أو لتوقع مكابرة من معاندة أو جاهل.

ومن هنا فإن علاقة العلوم بالقرآن على أربع مراتب[2].

الأولى: علوم تضمنها القرآن كأخبار الأنبياء والأمم وتهذيب الأخلاق والفقه والتشريع والاعتقاد والأصول.

الثانية: علوم تزيد المفسر علما كالحكمة والهيأة وخواص المخلوقات.

---

(١) انظر التفسير العلمي في الميزان ٤٨٩، وما بعدها بتصرف.

(٢) انظر التحرير والتنوير ١/ ٤٣.

الثالثة: علوم أشار إليها القرآن أو جاءت مؤيدة له كطبقات الأرض والطب.. وغيرهما.

الرابعة: علوم لا علاقة لها بالقرآن إما لبطلانها كالزجر والعيافة، وإما لأنها لا تعين على خدمته كعلم العروض والقوافي.

ووجوه الإعجاز القرآني -كما يذكر صاحب التحرير والتنوير- راجعة على ثلاث جهات:

الجهة الأولى: بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي من حصول كيفيات في نظمه مفيدة معاني دقيقة ونكتا من أغراض الخاصة من بلغاء العرب مما لا يفيده أصل وضع اللغة.

الجهة الثانية: ما أبدعه القرآن مكن أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودًا في أساليب العرب، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة.

الجهة الثالثة: ما أودع فيه من المعاني الحكيمة والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية، مما لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن وفي عصور بعده متفاوتة.

وإعجاز القرآن من الجهتين الأولى -وهي بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي- والثانية: وهي ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام- الإعجاز من هاتين الناحيتين متوجه إلى العرب، إذ هو معجز لفصائحهم وخطبائهم وشعرائهم وبلغائهم مباشرة، ومعجزة لعامتهم بواسطة إدراكهم أن عجز مقارعيه عن معارضته مع توفر الدواعي عليه هو برهان ساطع على أنه قد تجاوز طاقة جميعهم، ثم هو بذلك دليل على صدق المنزل عليه -ﷺ- لدى بقية البشر الذين بلغ إليهم صدى عجز العرب بلوغًا لا يستطاع إنكاره لمعاصريه بتواتر الأخبار ولمن جاء بعدهم بشواهد التاريخ.

والقرآن معجز من الجهة الثالثة -وهي إشارته إلى الحقائق العقلية والعلمية- معجز للبشر جميعًا مستمراً على مر العصور؛ لأنه قد يدرك إعجازه العقلاء من غير الأمة العربية بواسطة ترجمة معانيه التشريعية والحكمية والعلمية والخلقية، وهو دليل تفصيلي لأهل تلك المعاني

وإجمالي لمن تبلغه شهادتهم بذلك، كما أن هذه الجهة من الإعجاز إنما تثبت للقرآن بمجموعه، إذ ليست كل آية من آياته ولا كل سورة من سوره بمشتملة على هذا النوع من الإعجاز، ولذلك فهو إعجاز حاصل من القرآن وغير حاصل به التحدي إلا الإشارة نحو قوله سبحانه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[1]. وإعجازه من هذه الجهة للعرب ظاهر، إذ لا قبل لهم بتلك العلوم كما قال جل ذكره ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾[2]. وإعجازه لعامة الناس أن تجيء تلك العلوم من رجل نشأ أميًا في قوم أميين[3].

إن القرآن المجيد يشير كثيرًا إلى أشياء في الكون مثل الشمس والقمر والنجوم والرياح والبحار والسموات والأرض والليل والنهار، وغير ذلك وهو في إشارته إلى الكون وما فيه يحض الإنسان على تدبر هذا الخلق البديع ليرى آثار عظمة الله وقدرته، وذلك لتربية الإنسان تربية إيمانية عن طريق الفكر، وليربط الإنسان بالكون الذي تعيش فيه ويتفيأ ظلال آلاء الله ونعمه وما أسبغ عليه من نعم ظاهرة وباطنة بتسخير كل ما في الكون لمنفعة الإنسان والارتقاء به.

ولا شك في أن جعل القرآن معجزاً لأن آياته تشير إلى أصول العلوم فيه نظر –في قضية الإعجاز– وإذا قلنا إن بعض الآيات القرآنية تشتمل على أصول العلوم الحديثية فمعنى ذلك أن القرآن تحدى أناسًا عاجزين ليس لهم حظ في العلوم بالمعنى الدقيق، ومن ثم فالتحدي باطل من أساسه، وبالتالي فإن صحة نبوة سيدنا محمد –ﷺ– فيها شك.. لهذا الاعتبار– وهذه النتيجة المغايرة لواقع العرب وواقع مراد الله تعالى في القرآن إنما جاءت بسبب إقحام القرآن في ميدان لا يمت إليه بصلة وهذا لا يأخذ به إلا عادة المنهج العلمي.

ونقرر –أيضًا– أن التقدم العلمي قد يكون عاملاً مساعدًا في أحوال كثيرة على الوصول

---

(١) سورة النساء الآية (٨٢).

(٢) سورة هود الآية (٤٩).

(٣) انظر التحرير والتنوير ١/ ١٠٤.

إلى الإيمان بالله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، فهذا شيء وإخضاع الآيات القرآنية للعلوم المختلفة شيء آخر وبخاصة للنظريات المتغيرة[1].

ولعل ما ذكرناه من أن حقائق العلم اليقينية التي أشار إليها القرآن سيقت مساق الهداية والدليل والبرهان فلا نخرج بها عن هدفها الأساسي وغرضها الحقيقي.

والقرآن في دعوته إلى الإيمان كان من أساليبه عرض حقائق الكون، ودع العقول إلى تأمل قوانينها الثابتة وليس بغرض دراستها وفهمها في ذاتها فحسب، وإنما لأنها تذكر دائمًا بالخالق الحكيم القدير، ولا نشك أن هذه الحقائق الكونية تتفق تمام الاتفاق مع أحدث ما وصل إليه العلم الحديث، وكل الآيات الكونية شاهدة على ذلك.

وسيكشف العلم عن المزيد تحقيقًا لقوله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[2]. والسين في "سنريهم" تدل على المستقبل ومن هنا فعطاء القرآن لا ينضب أبدًا وسيظل في تجديد مستمر وعطاء فياض فهو البحر الزاخر الفياض الذي لا نفاد لمادته ولا انقطاع لسببه، والآيات القرآنية المتضمنة حقائق عن الأنفس والآفاق فيها الاتفاق والتطابق بين البيان القرآني في روعته وإعجازه وبين التوضيح في نتاجه وإنجازه.

بهذا المنهج وتلك الضوابط التي أشرنا إليها نأمن غائلة الوقوع في المحظور عند تناولنا للآيات الكونية من الناحية العلمية. أما هؤلاء الذين يسرفون على أنفسهم ويقحمون الآيات في أمور أبعد ما تكون عن المراد فهذا هو الخطر الذي يجب أن يدفع.

وبعد،،

فهذا هو المنهج بما له وما عليه، ونؤكد أن معظم الدراسات قصد بها خدمة الكتاب

---

(١) اتجاه اتلفسير ٣٢٢.

(٢) سورة فصلت الآية (٥٣).

العزيز. نسأل الله العظيم أن ينفعنا ويرفعنا بالقرآن إنه ولي ذلك والقادر عليه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد.

د. رضا نصار